آرندت وبرانندو وروجرز: □

كيف يرى المثقف الغربي قضية فلسطين

مصطفى علي*

يعد الموسيقي الإنجليزي روجر ووترز مثلاً نادراً بالفكر الثقافي الغربي حول القضية الفلسطينية فهو لا تخشى اتهامه بمعاداة السامية

كما قال بن غوريون فإن المسألة قوة إن استخدمت في اتجاه منتج وإن جوهر الاستراتيجية الصهيونية هو معرفتها كيف تحول نكبتها لعين ماء تنضح إبداعاً وطاقة فدولة إسرائيل هي وريثة المستة ملايين يهودي الذين ماتوا في الهولوكوست وعلى العرب قبول الهولوكوست وحق إسرائيل في الوجود كصفقة واحدة غير قابلة للفصل.

وفي الواقع أن العرب قد رفضوا تلك الصفقة ومن قبلها هم العرب على المستوى الرسمي الحكومي ولكنها تخطت ذلك لتؤثر على إنتاج المعرفة والموعي بدولة إسرائيل والقضية الفلسطينية في الفكر الثقافي الغربي وتوضح في مقالنا ذلك الابتزاز العاطفي الذي يمارسه الهولوكوست في إنتاج موقف المثقف الغربي تجاه إسرائيل من خلال ثلاثة نماذج تتفاوت مواقفها بين التأييد والاعتدال والمناهضة.

حنة آرندت

من البداية وقفت آرندت في مقالاتها السياسية في أربعينيات القرن الماضي في وجه الحركة الصهيونية الداعية إلى إنشاء دولة يهودية مستقلة في فلسطين حيث رأت في هذا المطلب خطورة وخطيئة كبرى لأنها تتجاهل إرادة وحقوق الفلسطينيين وأن فكرة الدولة اليهودية بحد ذاتها قد ينتهي الأمر بها إلى أن تعرض وجود اليهود أنفسهم في فلسطين للخطر.

وكانت آرندت من دعاة المحل لدولة ثنائية القومية وهو النهج الذي دعا إليه مجموعة صغيرة من المثقفين الذين أسسوا جمعية بريت شالوم (ميثاق السلام) والتي هدفت إلى التفاوض مع الزعماء العرب حول الاستيطان اليهودي إلا أن نشاط الجمعية قد انحسر في مطلع الثلاثينيات وفي الأربعينيات تجمع مؤيدو الفكرة لدولة ثنائية القومية في جمعية تدعى إيجود (الاتحاد) التي سعت للاعتراف بحقوق الفلسطينيين إلا أنها كانت جمعية صغيرة محدودة النفوذ رغم النخب الثقافية التي كانت تتبناها.

وحيثما صدر قرار التقسيم عام 1947 من الأمم المتحدة اعترضت آرندت على القرار وحذرت من نتائجه وأمنت أن من شأن القرار أن يؤدي في النهاية لطرد الفلسطينيين وانتهاك حقوقهم وهو ما يؤدي لنشوب حرب تهدد وجود اليهود أنفسهم وقد تعاونت مع يهودا لايب مايمون أول رئيس للجامعة العبرية وكان من الدعاة إلى الدولة ثنائية القومية للحيلولة دون قبول خطة التقسيم ودعمت جهوده غير المؤثرة لطرح وترويج حلول بديلة تنشد التفاهم مع ممثلي العرب وحينما وقعت الحرب أيد الاثنان في مارس من عام 1948 المبادرة الأمريكية التي تدعو لتتصيب مجلس وصاية يتولى الحكم إلى حين التوصل إلى اتفاق يضمن حقوق السكان.

وفي أثناء زيارة بيغن للولايات المتحدة عام 1948 قام ألبرت أينشتاين وحنة آرندت بانتقاد الترحيب الذي لقيه بيغن بينما كان يجمع تبرعات لمجموعته الإرهابية الإرجون وفي رسالة بعثت بها إلى رئيس تحرير النيويورك تايمز شددت على أن المجموعة التي يقودها بيغن ليست منظومة شوفينية يمينية إرهابية فحسب بل أنها تنظيماً بأساليبه وفلسفته السياسية وجاذبيته الشعبية يشبه كثيراً الحزبين النازي والفاشي والخطاب السياسي الذي يستخدمه بيغن ورفاقه ليس إلا تمويلها تفضحه أفعال الحزب الذي يرتكبها على الملأ.

ويتجلى الغضب الإسرائيلي تجاه أثر آرندت الفكري في عملها الشهير أيخمان في القدس حيث شرحت الهولوكوست المقدس نفسياً وفلسفياً ونزعت الشيطانية عن أيخمان وقالت إن اليهودي عليه كشخص منبؤ الإحساس بمسؤوليته تجاه ما فعله المجتمع به وطالبت اليهود بتحمل مسؤولية أعمالهم واستنباط طريقة سياسية مستمدة من تجربة الضحايا وتحليل عملية التنكيل بهم.

ورغم أن آرندت كانت قد مدحت حركة الكيبوتس الاشتراكية في مناسبات عدة إلا أنها انتقدت المستوطنين الصهاينة بسبب لنا مبالاتهم السياسية الكاملة وإقصائهم للفلسطيني من الصورة وعدم إحساسهم بعواقب المشروع الصهيوني على الواقع الاقتصادي الفلسطيني وأدانت مفهوم العمل العبري الذي يستثني العمال العرب ولامت الحركات اليسارية التي تجاهلت التضامن مع الفلسطينيين.

ولكن كانت آرندت في النهاية تؤمن بوطن لليهود في إسرائيل بشرط التفاهم مع العرب.

مارلون برانندو

تقدم إسرائيل نفسها للعالم بصفتها دولة معادية للكولونيالية لذلك تحتفل بحرب تسميتها التحرير 1948 وذلك الأمر لا يؤثر فقط في

المجدل السياسي والأكاديمي في الغرب وإنما يذهب تأثيره أبعد من ذلك إلى كافة حقول الثقافة الغربية كذلك ويؤكد ذلك الممثل مارلون براندو في أفكاره السياسية فيبدو موقفه تجاه إسرائيل مناقضاً لحراكه السياسي المعروف في الغرب كمدافع عن حق السكان الأصليين من الهنود الحمر والملونين من الأفرقة في الولايات المتحدة.

منذ العام 1947 يكتب براندو لعائلته بفخر أنه الآن جزء نشط لا يتجزأ من منظمة سياسية تهدف إلى جمع التبرعات لإنشاء دولة لليهود في فلسطين فبعد الفظائع التي عانى منها اليهود خلال الحرب اعتقد براندو أن التعويض الأخلاقي الوحيد هو دولة يهودية مستقلة يتوجب على الاستعمار البريطاني المظالم لأراضي اليهود في فلسطين أن يعيد اليهود إليها ويرحل وفي هذا السياق ينظر إلى الفلسطينيين باعتبارهم محتلين استولوا على أرض إسرائيل القديمة ففي مقابلة صحفية سئل فيها عما يريده الهنود من الحكومة الأمريكية أجاب براندو قائلاً إنهم لا يريدون أقل أو أكثر مما لدى اليهود في إسرائيل. ويحرف براندو المنطق الذي يروج له الذين يعدون معادون للسامية باعتقادهم أن اللوبي الصهيوني يسيطر على الحكومات الغربية والأمريكية فيرى أن الفلسطينيين يسرون شؤون الشرق الأوسط وكان هذا في عام 1982 حيث كان الفلسطينيون واللبنانيون يذبحون بالآلاف في اجتياح إسرائيل للبنان وهكذا ظل براندو وفياً لحق إسرائيل في الوجود في نقيض ساخر تدعمه لحقوق السكان الأصليين حتى مماته.

روجر ووترز

يضرب لنا الموسيقي الإنجليزي روجر ووترز عضو فرقة بينك فلويد سابقاً مثلاً نادراً في الفكر الثقافي الغربي حول القضية فمناهضة روجر لإسرائيل هي مناهضة راديكالية لا تقبل هواده ولما تخشى اتهامات المعاداة للسامية ولما يتوانى عن الظهور بأقمصة العلم الفلسطيني إعلامياً كلما تصاعد العنف الإسرائيلي ضد الفلسطينيين. ويتجلى موقف روجر المصلب في مناهضة إسرائيل من خلال عضويته النشطة في حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات ضد إسرائيل (BDS) منذ عام 2011 بالإضافة لدعوته الضانين الغربيين إلى مقاطعة ثقافية شاملة وعدم تقديم عروض في إسرائيل.

يبدو من مواقف ووترز أنه لم يصبه إشعاع المتأثر بالهولوكوست والبروباجندا الصهيونية في الغرب بل إنه على وعي بتلك الحملة الإعلامية لغسل الأدمغة الغربية تجاه فلسطين فقد شارك معلقاً صوتياً في فيلم Mind American the of Occupation الذي صدر عام 2016 ويحكي فيه كيف تعرض الجمهور الأمريكي للخداع بشكل تدريجي مدرب للغاية منذ عام 1947 فيما يتعلق بالواقع على الأرض في إسرائيل وباقي بلاد المنطقة العربية.

على النقيض من براندو يرى ووترز أن العالم الغربي فشل في إدانة فظائع إسرائيل بسبب شعورهم بعبئ هائل من الذنب من ماضي الهولوكوست الذي فعلوه في ألمانيا النازية ويوجه سهام النقد تجاه التناقض الغربي في الموقف ضد فلسطين فحزب العمال الإنجليزي الذي يناهض للدفاع عن حقوق الطبقة العاملة وحقوق الإنسان في كل أنحاء العالم بغض النظر عن العرق والدين والجنسية أين هو من الدفاع عن الفلسطينيين؟ بالطبع لا فهذا هو الخط الأحمر الذي لا يتخطاه الحقوقي الغربي.

* عن موقع عربي 21